85413

تاريخ اليهود

محمود نعناعة

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

رقم التصنيف : 956.4
رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : 2000/10/2842
المؤلف ومن هو في حكم : محمود نعناعة
عنوان الكتاب : تاريخ اليهود
الموضوع الرئيسي : 1. التاريخ/ اليهود
2. فلسطين
بيانات النشر : عمان - دار الفكر

* - تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
1421هـ - 2001م

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

سوق البتراء (الحجيري) - هاتف ٤٦٢١٩٣٨
فاكس ٤٦٥٤٧٦١ ص.ب ١٨٣٥٢٠ عمان ١١١١٨ الأردن

Hussein Mosque
Tel. : 4621938 Fax: 4654761
P.OBox: 183520 - Amman - 11118 Jordan

ISBN 9957-07-187-4 (ردمك)

مقدمـــة

سألني أحد الاخـوان عما يشغلني هذه الأيام، فـأجبته إني أحضر بـحثاً عن (المشكلة اليهودية.. وهل تحلها اسرائيل). فأطرق قليـلاً.. وكأني خمنت ما يدور بخاطره.. فرجوته أن يفكر بصـوت عال.. وألا يبالي بادئ الرأي بالثـناء على محاولتي.. كـما جـرت العادة. فقال: أتعتقد أن ثمة مشكلة يهـودية.. قلت: إن كان الإيمان يرقى فوق الاعتقاد درجة فإني أود أن أقول إني أؤمن بأن ثمة مـشكلة يهودية.. وأومن بالدرجة نفســها بأن هذه المشكلة يجب أن تلقى حـلاً نهائياً لـها.. وأننا نحن العـرب أولى الناس بالإسـهـام في دراسة هذه المشكلة ومحاولة تزويدها بالحل النهائي المناسب.

فـالمشاكل العالمية الكبرى لا تحل بتجاهلها ... ومهما نحاول أن ننفي أن في العالم مشكلة يـهودية فإن مـحاولتنا سـتبوء بالفـشل لأن المشكلة قائمـة فعـلا.. وهي تضرب بجـذورها في أعـماق التـاريخ.. وكلمـا تطاولت الأيام نجم عـنها طلع مـر كـأنه رؤوس الشياطين.

ولكن هل عرفنا –نحن العرب– مشـاكلها وحللناها أو قطعنا بعض الطريق في حلها.. حتى نعمـد الى مشاكل الآخرين في محـاولة منا لمعرفتها وحلهـا؟. وإن كنا لم نعرف بعد مشاكلنا فما أبعدنا عن فهم مشـاكل غيرنا واكتشاف الحل المناسب وأول من يجبهنا بمثل هذا القـول هم اليود أنفـسهم، بل أنهم قـد يسخـرون منا ويسلقـوننا بألسنة حداد..فـهم يذهبون إلى أن الشعب المختار خليق بحل مـشاكله ..بل خليق بحل المشاكل التي تعترض سبيل الانسانية برمتها

المشكلة اليهـودية كانت قائمة ، ولعلهـا كانت قائمة ، وهي جنين في بطن الغـيب ، فقد أوحت الزعامة اليهودية التقليدية إلى الجماعة اليهودية انهم جماعة فوق الناس لا تربطهم

بالناس رابطة ولا تشدّهم اليهم آصرة . فليس لغريب عليهم حق وليس عليهم لغريب واجب وان الاوطان التي تحتضنهم لا تستحق منهم الولاء والاخلاص والحب فاستخفوا بالاعراف الاجتماعية وتحلّلوا من الاخلاق الوطنية وتشبثوا بالانا الغالي في تعصبه لذاته المنكر لكل من سواء فظلموا انفسهم وظلموا غيرهم ، وعندما اكتشف الاستعمار في القرن التاسع عشر وسائل حديثة للسيطرة على اوطان الشعوب المستضعفة اركبهم موجته العالية واقر في نفوسهم ان الحل النهائي لمشكلتهم ان يرفعوا شعار فلسطين أرض الميعاد، فكانت صهيونية هرتسل هي رد الفعل اليهودي لفعل الاستعمار، على النقيض تماماً لما تعارف عليه الناس من أن هرتسل وأضرابه من زعماء اليهود كانوا رواد الصهيونية وطلائعها.. على حين كان الرواد والطلائع هم الاستعماريين الأصلاء من نابليون إلى بلفور الى هذا الاستعمار الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية.

هذه هي المشكلة اليهودية بكلمات، ولما كان إنشاء إسرائيل لم يقع في الفراغ وإنما وقع على رأس شعبنا، ولما كانت المشكلة اليهودية ما زالت قائمة واستمرار التجربة لحلها عن طريق تطوير اسرائيل سيقذف بآثاره المدمرة على راس أمتنا العربية على اتساع رقعة الوطن العربي فإن من حقنا بل من واجبنا أن نعرف ما هي المشكلة اليهودية، بأدق ما يمكن من التفاصيل، ومن واجبنا نحو مصيرنا ـ على الأقل ـ ألا نتحرج من طرح نتاج الفكر العربي في هذا المضمار، دونما استئذان من أحد، ودونما التفات إلى ما يقال عنا وعن أفكارنا ما دامت أفكارنا صادرة عن إيمان خالص ومعرفة جيدة وانعام نظر ثاقب بعيداً ما أمكن عن الأهواء والنزعات والعواطف.

وأسارع إلى القول بأن الكاتب إذ يزعم أنه يكتب متجرداً من العاطفة فإنه يفتتح حديثه بديباجة زائفة فلم يخلق بعد الكاتب المتجرد.. لأنه لم يخلق بعد الكاتب من المخلوقات الدنيا التي لم تصل الى مرتبة الإنسان.

إن اللهّ سبحانه وتعالى عندما يتحدث عن المؤمنين به وما ينتظرهم من ثواب وحسن مآب تراه عز وجل يتحدث بلغة ناعمة أصفى من عين السلسبيل، فإن تحدث عن الكافرين بسلطانه وما يحف بهم من عقاب وسوء مآب نراه، جلت قدرته –يتحدث بلغة رهيبة أعتى من ريح السموم.

إن عواطف الحب والبغضاء إن كان دورها أن تلهمنا استدرار أغلى ما في أذهاننا من فكر صائب سليم فنعما هي.. أما إن شطت بنا عواطفنا عن الصراط المستقيم وأعمت بصائرنا فتردينا في مهاوي الزلل.. فهي عواطف غاوية غرورة نعوذ بالله من شرها وما تجرنا إليه من عقابيل.

من أخطر المواقف التي تواجهنا –وقد احتدت مواجهتها لنا بعد الهزيمة الأخيرة المريرة– هذه المحاولات العقيمة التي تناولت التوفيق بين وجود اليهود في فلسطين المحتلة وحق العرب في هذا الوطن الغالي السليب.

كان كاتب هذه السطور، في فترة أعقبت هزيمة يونية حزيران 1967 يشغل موقعاً متواضعاً من مواقع المسؤولية في نطاق العمل الفلسطيني وكثيراً ما زاره صحفيون وسواح وطلبة أوربيون وأمريكيون بعضهم يرغب في مزيد من المعرفة عن قضية فلسطين وبعضهم يحاول أن يطلع على رأس الفلسطينيين في أهداف العمل الفدائي وفي ما ننوي عمله باليهود لو انتصرنا وحررنا فلسطين.

وكنت أنبهّ زائري بادئ الراي إلى انه سيسمع مني كلاما صريحاً صادقاً بعيدا عن المجاملات ولغة الدبلوماسية لأن مسؤولية العمل الفلسطيني اذا غلفتها اللغة الدبلوماسية فلن تسلم من رذيلة الانحراف.

ويستغرب ضيفي وأنا اتابع حديثي مؤكدا أنني لا اكره اليهود كأفراد، فالحقيقة على النقيض تماماً.. فأنا ابن مدينة طبرية وكان لي جيران من اليهود ما اكثر ما حفظت لهم حقوق الجوار وبخاصة إبان الثورة العربية الفلسطينية الكبرى من عام 1936 - 1939 ايام كانت اليد العربية الفلسطينية تعصر أعناق البغاة.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية جمعتني احدى المعتقلات الفرنسية في لبنان بشاب يهودي مثقف كان عضوا في منظمة هاشومير هاتسمير الصهيونية. وكانت بيننا احاديث مستفيضة قطعها افتراقنا في اواخر تلك الحرب لنستأنفها في فلسطين بعد أن جمعتنا الصدفة مرة أخرى.

وزرته في مستعمرة بيت يوسف التي كان يتولى بعض مسؤولياتها القتالية عام 1946 وزارني في طبرية وبيسان اكثر من مرة.

في احدى الجلسات سالت سلافو ـ وهو اسمه الذي استبدل به اسم شلومو بعد هجرته الى فلسطين ـ أنت تعرف يا سلافو طبيعة عملي في الحقل الوطني الفلسطيني، وأنا أعرف طبيعة عملك في الحقل الاستيطاني الصهيوني.. وقد نتواجه في ساحة القتال ونحن الاثنان على طرفي الجبهة فما يكون موقفك مني؟ قال: اسمع يا محمود، أنا عرفتك جيداً وعرفت طبائع العرب من خلالك ومن خلال معروف ـ ومعروف اخ لبناني مناضل لم أستأذنه في هذا السرد فأغفلت ذكر اسمه كاملا ـ قال سلافو: أنت لن تقتلني اذا استطعت ان تتفادى قتلي أما انا فلن أتردد في قتلك.

وساد الصمت دقائق ثم قطعه سلافو بعد أن فكر ملياً- على ما يبدو- فسحب كلامه وقال: لا يا صديقي لن أكون أقل من العرب وفاءً، فلقد تعلمت منكم فضائل كثيرة.. منها الكرم والغيرة.. والوفاء. وفرقتنا الأيام وكنا على طرفي جبهة القتال ولكننا لم نلتق.. وكانت آخر رسالة تلقيتها منه قبيل مباشرة القتال بيننا وبينهم في عام 1947 وكان مصدرها مستعمرة جبعات هاشلوشا.. وأرجو أن يكون سلافو اليهودي الصهيوني الهنغاري المثقف ما زال على قيد الحياة.. وسأكون سعيدا لو اكتشفت ذلك.

هذه واقعة لم يعرفها في حينها إلا رفاق الكفاح في حيفا وطبرية وبيسان.

ولكنها واقعة قد تكون غريبة.. كل الغرابة.. بيد أن غرابتها لن تنفي كونها واقعة..

هكذا نحن العرب.. فليس أكذب مما قيل عنا حين قيل أننا لو انتصرنا لألقينا باليهود في البحر.

وهذا لا يمنع أن يصدق الغربيون عنا كل فرية وكل بهتان فقد أعمت البغضاء قلوبهم فتخيلونا وحوشاً ضارية تأكل لحوم البشر لا تصلنا بمبادئ الحضارة أية وشيجة.. ولو أنصفوا ودرسوا التاريخ بأمانة وشرف ليعرفوا أن حالنا وحالهم كما قال شاعرنا القديم:

ملكنا فكان العفو منا سجية

فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وعندما نذكر أكل اللحوم البشرية فنحن نعنيها حقيقة لا مجازاً إن العرب في أحلك عصور جاهليتهم لم يتهموا بأكل لحوم البشر أما اليهود فقد سجتها عليهم أسفار العهد القديم فعلا كما سنرى.

الغربيون يعرفون كل هذا وأفظع منه وعلى الرغم من كل شيء فنحن دائماً المدينون.. أن يذبحوا أطفالنا وشيوخنا ونساءنا الحوامل ويبقروا بطونهن.. فهذا حلال لهم.. اما اذا استعملنا حقنا في الدفاع عن النفس صرخوا بالويل والثبور وصرخ الغرب معهم تثيره البغضاء ويدفعه الحقد الدفين..

كنت أقول لضيفي الاوروبي: لن أزعم امامك بعد هذه المقدمة أننا إن انتصرنا فسنرحب باليهود بين ظهرانينا اخوة ومواطنين.. فلسطين لا تتسع لثلاثة ملايين أو أكثر من اليهود، ومليونين من العرب.

ان اليهود الذين تركوا اوطانهم وجاءوا الى فلسطين جاءوا غزاة معتدين فتصريح بلفور هو (فرمان) وجودهم الحديث في فلسطين اجراء باطل، وكل ما بنى على الباطل، فهو باطل والغزاة المعقدون يجب ان يعودوا إلى حيث كانوا.

وكان ضيفي يقول: ولكن ذلك يعود بالمشكلة الى ما كانت عليه بل إلى أسوأ مما كانت عليه فقد انقطعت سلة هؤلاء اليهود بأوطانهم القديمة وأصبح ابناؤهم لا يعرفون غير اسرائيل وطناً لهم.

فأقول: كن صريحاً معي كما كنت صريحا معك.. أنكم قذفتم باليهود الى فلسطين لانكم لا تريدونهم بينكم فأيدتم الصهيونيّة لتضريوا عصفورين بحجر.. ترتاحون منهم وتكسبون عطفهم وتبرؤوا من تهمة معاداة السامية وما دريتم أن كراهيتكم هي التي دفعتكم دفعاً حثيثاً الى سوقهم الى فلسطين طلباً للخلاص.. لخلاصكم انتم.

أما شعب فلسطين العربي فلم تفكروا فيه لحظة، وإذا خطر لاحدكم أن يفكر فيه عد من سقط المتاع.. غجرياً يحمل خيمته على حماره ولا يفتأ يرتحل من مكان الى مكان.. هكذا صوروا لكم فصدقتم أو لم تكترثوا أن تصدقوا أو تكذبوا وكان كل همكم أن تتخيلوا أنكم أرضيتم ضمائركم التي كدّها ما حملوها من تبعات الاضطهاد التاريخي الطويل.

أنكم أيها الغربيون تؤمنون أو لا تؤمنون ـ سيان ـ أن اللّه أتحف الانسانية بفاد واحد هو السيد المسيح عليه السلام.. افليس من الظلم والبغي أن تطلبوا من شعب فلسطين المسكين الخاطىء أن يتحول كل ابنائه الى فداة.. أننا لم نأت من روح القدس لنصبح فداة.

ليس ذنبا أن منحت بريطانيا اليهود وعد بلفور وايدتها فيه أو في ما ترتب عليه، كل دول أوروبا وأمريكا الشمالية، بلا استثناء .. بل لقد قلناها صريحة مدوية منذ اللحظة التي افتضح غدر البريطان بنا.. لم نعترف بتصريح بلفور وأعلنا أننا نقاومه بشكل ما تيسر لنا من أدوات المقاومة.. فلم تصدقوا وحسبتمونا عابثين، ولم يصدق اليهود وأصرت الصهيونية على سوق اليهود الى فلسطين سوق النعاج أو سوق المخدرين.

أننا لم نقبل يوما ولن نقبل ـ مهما نكن الظروف ـ بالوجود اليهودي، الذي انبثق عن تصريح بلفور، في فلسطين.

أنتم أيها الغربيون خلقتم كل هذا الشذوذ في اقليم عربي فرض عليه هذا القتال الوحشي فرضا، وهو الذي كان يحلم أن ثورته المغدورة أبان الحرب العالمية الأولى سترفع عنه نير الاحتلال الأجنبي فإذا هو يقع تحت كابوس يعجز القلم عن وصف قسوته والجراح المخيفة التي سببها والتي ما زالت تتفجر بالدم البريء كالطوفان.

لا تلقوا بالا ايها الغربيون لما يتملقكم به بعض الفلسطينين الذين بدأوا ثوارا وانتهوا سفراء.. يحسبون التنازل عن بعض الحق ـ بالقول أو بالفعل ـ قمين بأن يحفظ بعض الحق الآخر.. أن شعب فلسطين العربي يرفض رفضا قاطعا لا تردد فيه أن يفقد حقه في فلسطين عربية حرة. أنه لن يقبلها فلسطين بلا هوية وبلا أصل.. أنه لن يقبلها كما أرادها الاستعمار اقليما حاجزا بين شطري الوطن العربي الكبير.. ولو كان شعب فلسطين العربي يقبل بشيء كهذا لكان قبله منذ نصف قرن من الزمان، ووفر على نفسه كل هذا الشقاء القاتل الذي يسعده أن يصبر عليه الصبر الجميل تحقيقا لوجوده الأصيل ووفاء لامته العربية المجيدة.

قد نبدو اليوم في حالة لا نحسد عليها ولكن شعورنا بحقيقة حالنا لا ينبغي أن يجرنا الى مخاطر المساومة والتنازلات لانقاذ ما يمكن انقاذه فان المبادئ لا تتجزأ وإن جزئت ضاعت كلها كما ان التي نقبل بشطر الطفل الى شطرين ليست هي أم الطفل ولو أكلت ورق المصحف وهي تقسم.. ان شعورنا بحقيقة حالنا هو الذي يجب أن ينأى بنا عن التورط في سوق البيع والشراء ولن يبوء الضعيف الاّ بالخسران والندم، فإن كنا اليوم ضعفاء فلن نبقى ضعفاء إلى الأبد، فلقد برهنت أمتنا، ونحن جزء منها، أن الأزمة كلما

اشتدت آذنت بالانفراج.. إن الأمة التي امتحنت في تاريخها بأهوال عظام ثم انتصرت عليها وخرجت منها أقوى عوداً وأصلب مكسراً خليقة بأن تجتاز محنتها المعاصرة دون عجلة قد تهب ريثا ودون طمع قد يدق أعناق الطامعين... وهذا لا يعني –بالتأكيد – أن نروح في سبات عميق لعلنا بالسبات تستعيد قوتنا ونسترد نشاطنا، بل يعني أن نتجنب المعركة الفاصلة حتى نثق ثقة مطلقة بالنصر. وحتى نصل الى ذروة الاعداد للنصر، يجب وجوباً حتمياً ألا نترك العدو يطمئن الى أسلابه ويبني بهدوء وطمأنينة، ذلك الواقع الذي يهدف إليه ويعمل من أجله بأعلى معطيات الحذق والمكر واليقظة.

أننا في هذه المرحلة من كفاحنا نجد أنفسنا على اتصال بالعالم، نسمع منه ويسمع منا، وقد يحلو لنا في هذا الظرف أن نتصرف كظرفاء ونتظاهر بالتسامح والانفتاح.. قد يقال لنا: يا قوم لقد آمن بقضيتنا العديد من أهل الفكر ومنهم يهود من أهل اليمين أو أهل الشمال فترفقوا ولا تؤذوا مشاعر هؤلاء الأصدقاء.. بعد أن استطاعوا تحويل جانب كبير من الراي العام العالمي إلى صفنا.

وكلام منمق لطيف وحلو كالشهد ولكنه خليق بأن يعطل فكرنا ويغل أيدينا ويشل حركتنا.. ونصدق هذا الكلام.. فإذا أردنا أن نتحدث عن بن غوريون مثلا حرصنا على أن نقول أنه صهيوني فإن قلنا أنه يهودي ثاروا علينا ورمونا بالغفلة، وإذا أردنا أن نتحدث عن إسرائيل جزأناها الى صقور وحمائم وانتسبنا وصف عدوانها بأنه عدوان المنظمة العسكرية في اسرائيل فالصقور هم أعضاء المنظمة العسكرية وحدها العدوانيون المعتدون.. أما الآخرون من اليهود فهم الحمائم البرئية براءة الذئب من دم يوسف.. وإذا وردت في ما نكتب كلمة اليهودية غم علينا حتى نسارع الى ايضاح أننا لا نتعرض الى الدين اليهودي فهو دين سماوي نحترمه ونجله ونؤمن بأنبيائه.. وما نعنيه باليهودية هو هذه الصهيونية الخبيثة.. أما اليهود فمعاذ الله.. أنهم أحباؤنا وأحباء الله.. ورفاق وجودنا مذ كنا وكانوا.

والحق أننا لا نفرق في ايماننا بين رسالة سماوية وأخرى.. ولا بين رسول ورسول، فليست الرسالات السماوية في اعتقادنا الا مراحل متكاملة لدين سماوي واحد وهو دين التوحيد.. فنحن نؤمن بدين الله الواحد بما فيه من رسالات ورسل..